حرب النهروان بين الرواية الإسلامية والتأويل الاستشراقي

- دراسة نقدية -

المدرس الدكتور
سيف الدين مهند كاظم جواد
جامعة الفرات الأوسط التقنية ـ المعهد التقني / كوفة
saif.mohand.iku@atu.edu.iq

Al-Nahrawan War Between Islamic Narratives and Orientalist Interpretations

- A Critical Study -

Lecturer Dr.
Saif Al-Din Muhannad Kazem Jawad
Al-Furat Al-Awsat Technical University - Technical Institute of Kufa

الملخص:-

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الاختلاف والتخبط الذي وقع فيه المستشرقون على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم والآلية التي نهجوها في دراسة وتصنيف الحروب التي حدثت في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بناءً على ما سبق عصره من فتن داخلية عصفت بواقع المجتمع الإسلامي وما آلت له الأحداث من عظيم الأثر في حرب النهروان بظهور الخوارج (الناكثين) على المسرح السياسي للإسلام كأول القوى التي ساهمت في تشكل الهويات السياسية والعقدية في حركة الإسلام المبكر، يضاف إلى ذلك تحديد المناهج التي أعتمدها المستشرقون في التحليل الزماني والمكاني لحرب النهروان في سلسلة مطولة من أبحاثهم ومدى موضوعيتها أو تأثرها بخلفياتهم الثقافية والدينية.

الكلمات المفتاحية: الناكثون، الخوارج، أهل الشام، المحكمة، الحرورية.

Abstract:-

The purpose of this research is to examine the contrast between the approaches and classification systems employed by Orientalists, irrespective of their origin or affiliation, regarding the wars during the caliphate of Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him). This is studied in relation to the civil wars preceding his reign and the sociological impact it had on the Islamic society. I focus on the reverberations of the Battle of Nahrawan and the Kharijites (the "Renegades") as the foundational ideological contesting force in the Islamic political landscape, serving as one of the primal constituents of political and theological identity formation within the Islamic movement. The study also analyzes the scholarly works of Denis Stephane Piveteau and his colleagues in regard to the spatial and chronological parameters relative to the Battle of Nahrawan and evaluates how far their conclusions were devoid of cultural and religious biases typical of an Orientalist framework.

Keywords: Renegades, Kharijites, People of al-Sham, al-Muhakkimah, al-Haruriyyah.

المقدمة:

إن من حق كل أمة أن يعرف أبناؤها ما يكتب به الأخرون عنها في جوانب ثقافتَها وعقيدتها ودينها ، ومن حق أبناؤها الباحثين ونخبها المثقفة أن يصنفوا تلك الآراء والأقوال بمناهج التحليل والنقد كون السكوت عنها يعني التسليم الضمني بها وبخاصة ما ينتجُه غالبية المستشرقين وما أشاعه ممثليهم وأتباعهم والمعجبون بهم وبدراساتهم، وهناك هدف أخر يتمثل بالرد على شبهات المستشرقين ودحض أقوالهم ومحاولة تفنيد ما يفترون به على الإسلام كمحاولات فردية أو جماعية من قبلهم لتوهين التعاليم الإسلامية والحط من قيمتها باعتبارها وسيلة مباشرة لزرع الشكوك في نفوس المسلمين، يضاف إلى ذلك محاولة الباحث التنبيه إلى ما وقع فيه بعض المستشرقين من أخطاء قد تكون علمية أو لغوية أو تاريخية ربما لجهلهم بقواعد اللغة العربية أو عدم اتقانها أو لسوء الفهم وضيق النظر وبخاصة ما كتبوه عن حرب النهروان التي تعتبر بإجماع المؤرخين المعتدلين من العرب والغربيين واحدة من اكثر المحطات حساسية وأثارة للجدل في مرحلة الإسلام المبكر التي شهدت ذروة التوترات الطائفية الداخلية بدءا من نهاية عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان وصولاً إلى ما بعد مدة حرب النهروان خلال عصر خلافة الامام علي عليه السلام، إذ شهد عصره ظهور فرقة الخوارج (الناكثون) تركت أثاراً عميقة في حركة التاريخ الإسلامي الديني والسياسي، مما جعلها تحظى باهتمام غالبية المستشرقين الذين سعوا بدورهم إلى تفسير خلفيات ونتائج تلك الحرب وفق منظور التعصب الديني والثقافي، فجاءت محملة بتأويلات متناقضة ومسيسة وهنا تكمن محاولات الباحث في كشف أوجه التقاطع والافتراق بين الرواية الإسلامية والاستشراقية بالتركيز على ابرز أقوال المستشرقين الذين تطرقوا إلى تلك الحرب.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي المقارن بين آراء المستشرقين ومقدار التوافق.

مع مصادرنا الإسلامية الموثوقة لبيان أوجه التوافق والاختلاف في أفكارهم وطروحاتهم، وتقييم الأثر الذي تركته مصادرنا في أبحاث المستشرقين عبر استقراء نماذج مختارة من كتاباتهم حول عصر خلافة الإمام علي عليه السلام عامة وحرب النهروان على وجه

الخصوص فأورد الباحث نماذج من آرائهم وعقب عليها بآراء المصادر الإسلامية كتحليل للرؤيتين، واعتماد المنهج النقدي لنقد تطور حركة الخطاب الاستشراقي عبر مراحل زمنية متعددة لبيان دوافعهم في تركيز شبهاتهم حول قضية الخوارج دون غيرها من الحروب التي شهدتها مرحلة الإسلام المبكر.

المحور الأول: خلافة الإمام علي عليه السلام عند بعض المستشرقين

حَظِيَ موضوع الخلافة الإسلامية عامة، وآليات تداول الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، اُهتمام المؤرخين المسلمين والمستشرقين معاً، وقد ركزوا على الظروف التي رافقت أستلام الخلفاء لمهامهم في قيادة الأمة الإسلامية، وبالخصوص بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وتسلم الإمام علي عليه السلام الخلافة وما أعقب ذلك من ملابسات أفضت إلى خلافات عميقة، وكان من آثارها أن يشهر كل طرف السيف بوجه الآخر، ليدخل المسلمون في مرحلة جديدة من الصراعات كادت أن تعصف بالدولة الإسلامية، وبغية التعرف على وجهات نظر المستشرقين فيما يتعلق بظروف خلافة الإمام علي عليه السلام لابد لنا من الاطلاع على آرائهم حول الشيعة بوصفهم على اتصال وثيق مع الموضوع:

يرى المستشرق الإيطالي دافيد سانتيلانا بأن الخليفة موظف سياسي كما هو معروف في الفكر الشيعي وباقي الفرق، و هناك اُنفصال بين الشريعة والدولة في العالم الإسلامي أجمع[١]، في حين يذكر المستشرق الألماني وولتر باتون، أن اُصطلاح الشيعة هو جمعي، ويعني الحزب أو الأتباع، و يطلق على أنصار آل البيت، ومنذ الأيام المبكرة للإسلام قامت فرقة الشيعة بتشكيل طائفة لها باسم (شيعة أهل البيت) إي أتباع أسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢] فيما أدعت المستشرقة الفرنسية آلان نيميه إن مصطلح الشيعة ذو مضمون سياسي كونه يشير إلى مزاعم آل البيت في الخلافة[٣]، هل إنّ ما يذهب إليه العلويون بشأن الخلافة يعد (مزاعم)؟؟، بينما ذهب البريطاني توماس أرنولد إلى أن المهام الدينية التي يقوم بها الخليفة مثل إمامة الصلاة وغيرها لا تضمن له أي قوى روحية تميزه عن باقي الأئمة الشيعة[٤] أما المستشرق الألماني كونسلمان كان له رأي آخر مملوء بالدس إذ يرى أنّ الشيعة يؤمنون بأن النبي كان ينبغي حفظ أعلى سلطة في الدولة الإسلامية لأفراده، ولاسيما بعد أنّ انتظر علي عليه السلام الخلافة قرابة ربع قرن، وأشار أيضاً إلى أنّ شيعة الإمام علي عليه السلام قد زرعوا

جذورهم في قلوب المسلمين[٥] الا ان الواقع عكس ما ذكره كونسلمان فالشيعة فرقة من فرق الإسلام مع أنها بقيت عنُصراً من عناصر العالم الإسلامي ألا أنها استبعدت عن أي قرار سياسي، وإن ما ورد من أقوال ومقترحات المستشرقين، يدل على قلة اُطلاعهم على الثقافات الشيعية وما هو وارد في مقتضى الكتاب والسنة في صيغة الخلافة[٦].

إن أغلب دراسات المستشرقين المختصة بالخلافة والإمامة والفرق طوال العصر الراشدي امتازت بالدس والتشويه وما تحيكه من شبهات تعود إلى جهل المستشرقين أو تجاهلهم، وفي هذا الصدد يذكر المستشرق الإيطالي كارلو نلينو[٧] أن مذاهب الفرس واليهود تغيرت شيئاً فشيئاً وإن مسألة الإمام وبعض من العقائد عند الشيعة بقيت كما كانت عليه في حياة الإمام علي عليه السلام[٨]، ونلاحظ أيضاً مساعي المستشرقين تشويه مبدأ الخلافة عند الشيعة التي تسلمها الإمام علي عليه السلام فضلاً عن الدس بمبدأ الإمامة وما تبع عنها من مذاهب وعقائد الشيعة محاولين الدس في شرعية أمير المؤمنين بالخلافة متهمين إياه بالمؤامرة والمساعدة في قتل الخليفة عثمان للوصول إلى الغاية التي حرم منها وتطلع إليها طويلاً منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مروراً بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) وصولاً إلى عصر عثمان بن عفان، الذي عدوه بمثابة الورقة الرابحة للإمام عليه السلام للوصول إلى سدة السلطة[٩] ومن أبرز هؤلاء المستشرقين، المستشرق الفرنسي لويس غارديه[١٠] والفارسي جهانبخش الثواقب[١١] وغيرهم من المستشرقين الذين اُفتقروا إلى الأمانة العلمية في نقل الحوادث التاريخية، أو جهلهم بها على وفق ما تتطلبه مصلحتهم.

تحدث المستشرق الأمريكي أيرام لابيدس عن سياسة الإمام علي عليه السلام في خلافة المسلمين إذ ذكر أنّ الإمام قد أتخذ موقفاً معارضاً لمركز الحكم الخلافي بالموارد الإقليمية مفضلاً اُعتماده أسلوب التوزيع المتكافئ للضرائب والغنائم بين سائر العرب وبوصفه ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصهره جنباً إلى جنب كونه أحد الأوائل المهتدين إلى الإسلام، وكانت خلافته من منطلق ولائه لمحمد والإسلام، أما الآن فقد قبل بالمساومة إذ وصل إلى السلطة بمساعدة قتلة عثمان[١٢] نجد هنا وضوح أتهام لابيدس للإمام علي عليه السلام بالوصول إلى الخلافة بدعم من الثوار وقتلة عثمان، وهذا غير صحيح بأجماع الروايات التاريخية، إذ إن الإمام اعلن البراءة من الذين اشتركوا في الثورة[١٣] فكيف يصل إلى الخلافة بمساعدتهم؟،

أنما وصوله للخلافة كان بإجماع كبار الصحابة وأهل المدينة، أما المستشرق البريطاني جون باجوت جلوب ذكر أن هناك ثلاثة فرق تتنافس للحصول على الخلافة، العصاة من جماعة مصر يؤيدون علياً، والعصاة من أهل الكوفة يؤيدون الزبير، وأهل البصرة أيدوا طلحة، وكان قبول الخلافة في مثل هذه الظروف العصبية لابد منه، وأشار باجوت أنه بعد خمسة أيام من مصرع الخليفة السابق وفي خضم سيطرة الجنود العصاة على العاصمة، يبدوا أن علياً تردد في بادئ الأمر بقبول البيعة وعرضها على الزبير وطلحة ولكن الضغط أشتد عليه لقبولها من فريق صحابة رسول الله الذين باتوا الآن شيوخ المدينة والجنود والوصاة الذين يسيطرون عليها وقد بايعته غالبية المواطنين وبينهم طلحة والزبير وعادت إلى أمصارهم[١٤].

من خلال ما تم عرضه من وجهات نظر المستشرقين بشأن خلافة الإمام علي عليه السلام وبيعته يتبين لنا إنهم اختلفوا في ما بينهم في تحديد وقت البيعة عن ما هو معلوم في الروايات الإسلامية، فكل مستشرق قد أتخذ موقفاً في تحديد البيعة بحسب الرواية الإسلامية التي نقل عنها، إذ إن ابن سعد والبلاذري واليعقوبي والطبري وسائر المؤرخين قد أتفقوا على السنة التي تمت فيها البيعة وحددوها بـ ٣٥هـ/٦٥٥م، لكنهم اختلفوا في أوقات البيعة بالأيام، فبعظهم أدعى أنها تمت في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان، وأدعى القسم الآخر أنها تمت بعد خمسة أيام، وفريق آخر يرى أن البيعة تمت لسبعة أيام أو عشرة أو ثمانية عشر، لذلك فمن الطبيعي أن تأتي نظرات المستشرقين لتاريخ البيعة مختلفة في الأيام طبقاً لاختلاف الروايات الإسلامية الصحيحة[١٥] أما الذهبي في تاريخه فيرى بأن البيعة قد تمت في سنة ٣٥هـ بعد يوم من مقتل الخليفة عثمان[١٦] في حين ذكر البلخي بأن البيعة قد تمت في اليوم الثالث من مقتل عثمان بن عفان[١٧] بينما حددها السيوطي بانها تمت بعد يوم واحد من مقتل عثمان[١٨].

المحور الثاني: الأسباب التي مهدت لحرب النهروان في الرؤية الاستشراقية

أولاً: الديناميات السياسية الداخلية في عصر الإمام علي عليه السلام وتمخضها عن حرب النهروان.

يجد المستشرقون في حادثة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان عام ٣٥هـ المرحلة المباشرة لانطلاق أزمة سياسية عصفت بواقع المجتمع الإسلامي مزقت وحدة الصف بين

المسلمين، خلف ذلك فراغاً سياسياً امتدت اثاره لفترات زمنية طويلة عقب خلافة الامام علي عليه السلام، فثارت خلافات حامية الوطيس بين انصار الامام والمعارضين من أمثال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية بن أبي سفيان المطالبين بالثأر من قتلت عثمان بن عفان بعد ان حملوا الامام مسؤولية مقتل الخليفة الثالث (١٩) وهنا يحمل البريطاني جون وانسبورغ بعض الروايات الإسلامية مسؤولية الحقائق المتناقضة التي أوردتها حول قضية مقتل الخليفة عثمان والقاء تبعاتها على الامام علي عليه السلام فيجد انها قد خالفت الحقيقة دون ان تشير إلى دور حزب معاوية واتباعه في التأليب والتحريض على قتل عثمان بن عفان (٢٠) ويؤكد الأمريكي ايرام لابيدس وغيره من المستشرقين (٢١) على ان ما شهده عصر عثمان بن عفان من أحداث كانت سبباً مباشراً لانطلاق الصراع الإسلامي الطائفي أنسحب ذلك بشكل واضح في حرب الجمل وصولاً إلى الانقسام الأكبر الذي وقع في معسكر صفين وانقلاب اتباع الأمام علي عليه السلام ضده و نكثوا عهدهم لخليفتهم بعد انتخابه أدت تلك الأحداث إلى انهيار التوازن السياسي في ميزان القوى الإسلامية و بروز النزاعات المسلحة المتطرفة اشهرها فئة الخوارج[٢٢] أما المستشرق الألماني بارثولوميو باشينسكي فيرى ان حرب صفين وقضية التحكيم التي جرت خلالها تعتبر الحدث المفصلي الآخر ارتبط ارتباطا وثيقا بنتائج وقعة الجمل فساهمت الحربين التي قادها علي ضد المعسكرات التي نكثت عدها معه بإنتاج فرقة الخوارج كفئة مستقلة عن كل تلك الأحداث بعد اعتقادهم بان علي قد تراجع عن الحق، وان التحكيم يفسر وفق رؤية الخوارج بالتخلي عن مبدأ الحكم الإلهي إلا أن علي كان يتصرف بالحكمة بعكس ما يدعون، إذ حاول حقن دماء المسلمين في احرج أوقات الدولة الإسلامية[٢٣] فالملاحظ هنا في تحليل جون وانسبورغ وايرام لابيدس و بارثولوميو باشينسكي وغيرهم نوعاً من المنطقية في تفسير تسلسل الأحداث السياسية المتسارعة التي عجلت في ظهور الخوارج وحدوث حرب النهروان في عهد الامام علي عليه السلام.

ثانياً: التحليل السيولوجي لنشوء فرقة الخوارج من التشكيل الاجتماعي إلى التمرد المسلح.

يعتبر المستشرقون فرقة الخوارج (الناكثون) ظاهرة اجتماعية صعبة التركيب ظهرت نتيجة الاضطرابات السياسية المستمرة التي شهدتها الدولة الإسلامية في عهدها المبكر

وتفاعلاتها البنيوية الاجتماعية المستمرة[٢٤] فركزوا اهتمامهم على عقيدة تلك الفرقة متجاوزين التفسير العقدي والفقهي المحض إلى تحليل الوقائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شكلت خلفية تلك الفرقة، فمثلا الألماني جوزيف شاخت يصف تركيبة المجتمع الإسلامي خلال القرن السابع الميلادي على انه مجتمعاً قبلياً في جوهره فلم يستطيع الخلفاء الذين اعقبوا محمد ﷺ ان يلغو سياسة الولاءات القبلية أو توحيدها[٢٥] وهنا يقصد شاخت فترة خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

بدلالة وصفه لسياسة الإمام علي عليه السلام بالعادلة قامت على أساس المساواة بين فئات المجتمع الإسلامي خلال فترة خلافته[٢٦] وأشار شاخت أيضاً إلى فشل الخلفاء السابقين في ابعاد الولاءات القبلية وتحقيق الدمج الاجتماعي كان العامل الأساس في ظهور التيارات المعارضة التي نقمت على عثمان بن عفان لسياسته في تقريب الأقارب واهمال قبائل الأمصار وصولاً إلى تشكل حزب الخوارج من قبائل رافضة لهيمنة قريش السياسية سواء في معسكر الإمام أو معسكر معاوية[٢٧] وهنا اخفق شاخت في تحليله فحاول خلط الأوراق على القارئ بربطه لفترة خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب بما شهده مسرح الأحداث المحتدمة في فترة عثمان بن عفان فلا يوجد أي ترابط أو تشابه بين السياسة التي انتهجها الشيخان مع سياسة عثمان بن عفان وفق الحقائق الثابتة في مصادرنا الإسلامية[٢٨].

المحور الثالث: نقد وتحليل الخطاب الاستشراقي حول حرب النهروان.

أخذت قضية الخوارج حيزها في كتابات المستشرقين وبصورة تختلف عن اهتمامهم في معركتي الجمل وصفيّن بوصف أن الخوارج أبرز فرقة أنتجتها قضية التحكيم، فالخوارج هم رجال الإمام علي عليه السلام، نقموا عليه لقبوله التحكيم مكرهاً، على أثر وقعة صفيّن، وكانوا قبل ذلك في مقدمة الذين أجبروا على قبول التحكيم، لكنهم لما رأوا التحكيم آل إلى الحكم بخروج الخلافة من الإمام علي عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان، نقضوا بيعة الإمام ونبذو طاعته وطمعوا إلى السلطة لأنفسهم، فبايعوا واحداً منهم يدعى عبدالله بن وهب وحاربوا تحت رايته[٢٩].

اصطلح معظم المستشرقين على الخوارج أنهم أتباع أقدم الفرق الإسلامية وذكروا بأن أهمية الخوارج تعود إلى أقوالهم بنظرية الخلافة وفي الإسلام الصحيح وهل يكون بالإيمان

وبالعمل ، هذا من ناحية تطور الاعتقاد، أما من ناحية تطور تاريخ الإسلام السياسي كما وصفه المستشرقون فإن بروز الخوارج على مسرح الأحداث قد عكر السلام في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الإسلامية في السنتين الأخيرتين من خلافة الإمام علي عليه السلام، ويسر السبيل عن غير قصد منهم إلى فوز معاوية بالدهاء والحيلة في قضية التحكيم(٣٠).

ذكر الألماني ولفرد مادلونج الاطار التاريخي الذي يرتبط بالخوارج وبداية تكوينهم، فعندما أيقن عمرو بن العاص بأن النصر حليف الإمام علي عليه السلام أشار على معاوية بضرورة اللجوء إلى حيلة رفع المصاحف التي وجدت طريقها في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام وأدت إلى الاختلاف والتشويش على الرغم من رغبة الإمام علي بالاستمرار في القتال وتحذيره من مكائد معاوية وعمرو بن العاص ووصفه لهما بأنهما ليسوا بأهل دين ولا قرآن وإنما رفعوا المصاحف مكراً وخديعة(٣١).

ما ذكره مادلونج حول الضغط الذي تعرض له الإمام علي عليه السلام صحيحا، إذ أظهر أهل الشام الدعوة إلى حكم القرآن لإنهاء القتال فحمل الخوارج هذا الشعار وجاؤوا به إلى الإمام علي عليه السلام يطالبونه بالنزول عند حكم القرآن(٣٢) وإن رؤوس الخوارج آبوا قبول الإمام علي وهددوه بالقتل أو تسليمه إلى معاوية، الأمر الذي أدى إلى استدعاء الأشتر من الحرب درئا للفتنة، فكانت هذه بداية أمر الخوارج وفتنتهم إذ أجبروا الإمام بترك الحرب وقبول حاكمية القرآن إذ يقول مادلونج: ((إن علياً أمام العواطف الشديدة لأغلب أصحابه نحو الصلح، صمم على قبول التحكيم على الرغم من رأيه الخاص))(٣٣) والغريب من مادلونج أنه بالرغم من سرده لهذه الحوادث واعتراضه على الخوارج بأنهم أجبروا الإمام علي بقبول التحكيم، يقول في موضع آخر في كتابه أنف الذكر ((إن علي قد عزم على استمرار الحرب مع ثلة أصحابه الأوفياء لأنه ما كان يبالي ببذل نفسه، لكنه لما نظر إلى الحسن والحسين ورغبتهما في القتال، رأى أنهما لو قتلا لانقطع نسل رسول الله))(٣٤)، نجد في هذا القول أنّ المؤلف يوهم بأن الإمام علي عليه السلام قبل التحكيم للحفاظ على حياة سبطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أمر يكذبه الواقع التاريخي، نعم إن الإمام كان يخشى على الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ويحاول عدم أرسالهم إلى ساحات القتال ولكن هذا لا علاقة له بقبول أصل التحكيم، الأمر الهام أن الإمام علي - عليه السلام- كان في موضع القوة وليس الضعف، إذ تجمع أغلب الروايات بأن الإمام علي كان مقاوماً لفكرة التحكيم في بدء الدعوة التي أطلقها

معاوية إليه، إلا أنه أجبر على قبول التحكيم إذ قيل له ((لا يسعنا أنّ ندعى إلى كتاب الله فتأبى أن تقبله))[٣٥] كذلك قالوا للإمام علي في حرب صفّين من أجل قبول التحكيم ((أجب على كتاب الله إذا دعيت إليه، أو نفعل بك كما فعلنا بعثمان))[٣٦] هذه الأسباب دفعت الإمام علي عليه السلام إلى قبول التحكيم خوفاً من تفكك معسكره وليس كما يدعي المؤلف مادلونج.

يرى مادلونج أنّ قبول التحكيم كان خطأ سياسياً كبيراً لا يمكن تبريره إذ كان بإمكان علي إيقاف الحرب مع معاوية، و بإمكانه الانسحاب عن الحرب من دون أي توافق، إن قبول التحكيم طبقاً لشرائط معاوية كان أسوأ اختيار[٣٧].

إن الإمام علي عليه السلام ما كان أمامه عدة خيارات حسنة أو سيئة حتى يختار أحدها، بل أجبر على اختيار الحل الأسوأ، ولم يصغ إليه أحد سوى ثلة من خلص أصحابه الذين لا يتمكن محاربة العدو بهم، كما أن استمرار الإمام علي بالقتال كان يعني تفرق الجيش عنه أو إلقاء القبض عليه وتسليمه إلى معاوية أو قتله من قبل الخوارج، كما هددوه بذلك وأنهم سيفعلون به مثل ما فعلوه بعثمان بن عفان فقبول التحكيم كان رأياً سديداً للحفاظ على وحدة الصف أمام العدو[٣٨] لكن ما ادعاه مادلونج غير دقيق ومبالغ في قوة الخوارج إلى درجة كبيرة إذ إن عدد أتباع الإمام علي كان كبيراً ويفوق أعداد الذين خرجوا عن طاعة الإمام والدليل على ذلك أنّ الإمام تمكن من الانتصار عليهم في حرب النهروان بسهولة، والخطأ العلمي الآخر الذي أرتكبه مادلونج على الرغم من وضوح الأمر وصراحة الأخبار حول مسألة الخوارج، فيذكر مادلونج إن علياً عليه السلام لما رأى تمزق أصحابه، أنشد أبياتاً، أعترف فيها بعثرته، وأنه لا يريد الاعتذار منهم بل سيبذل جهده لتدارك الأمر حين سيكون نبهاً فيما بعد[٣٩] وهنا يتضح بطلان ادعاء مادلونج، إذ إن الإمام علي ما كانت عنده خيارات فأنتخب الأسوأ منها بل ما كان أمامه إلا حالة واحدة وهي قبول التحكيم والنزول عند رغبة أكثر أصحابه .

يرى مادلونج أيضاً أنّ مقتل الخوارج في حرب النهروان كان من أصعب الحوادث في فترة حكومة الإمام علي، ومن وجهة نظر حكومية كان عملاً منطقياً وصحيحاً بل ضرورياً، إذ إن الخوارج ثاروا ونقضوا بيعتهم وشقوا العصا في الأمة وهددوا بإزهاق نفوس المسلمين

حتى من أقربائهم الذين لم يلتحقوا بهم، أما الإمام علي فكان يميل إلى التوجه نحو معاوية وإهمال هؤلاء ريثما ينتهي من أمر أهل الشام، ولكن مع ذلك كان عدد الخوارج كثيراً، فإن الإمام ما كان يتمكن من غض النظر عن احتمال هجومهم على مدينة الكوفة والاستيلاء عليها بعد غيابه عنها ولاسيما وأنهم قتلوا رسوله مما ألغى فكرة الهدنة بينه وبين الخارجين عليه، في أي وجه من الوجوه، واضطر الإمام علي أن يستجيب طلب من كان يكره لقاء أهل الشام من أفراد جيشه يتجه نحو دفع شر الخوارج(٤٠).

بالرغم من هذا الاعتراف الصريح من المؤلف بسوء صنيع الخوارج والتهديد الحقيقي لمصالح المسلمين، إلا أنّ مادلونج يلمح بتخطئة الإمام علي عليه السلام في الإسراع إلى قتالهم وعدم التأني في احتواء الخوارج وأن الإمام علي كان عليه أن يبذل قصارى جهده لأخذ البيعة منهم مجدداً حتى لو يستدعي الأمر تأخير القتال ضد أهل الشام إلا أنّ سوء خلق أهل الشام وأفراطهم المانع من المصالحة كان يبدو هذا الأمر عسيراً، وإن الحوار الهادئ كان قد يؤدي إلى جلب حماية بعظهم تدريجياً لا كلهم، وكانت وضيفة الإمام علي عليه السلام الأولى إيجاد نوع وحدة جديدة بين قراء القرآن أبرزهم الذين كانوا من المدافعين عنه في السابق، وإن إسراع الإمام علي عليه السلام لمحاربة معاوية أجبره على أتخاذ قرار أعطى أثر معكوس إذ أستعمل الشدة والقوة أمام حلفائه سابقاً(٤١).

إن حديث مادلونج عن الخوارج يمكن أن نستشف منه الآتي:

أولاً: اعترافه بقسوة القوم و بطشهم وتكفير الأمة واستحلال دماء المسلمين وأعراضهم .

ثانياً: تهديدهم الواضح واحتمال شق العصى والهجوم على الإمام علي عليه السلام وهو مشغول بتعبئة القوات ضد معاوية(٤٢).

ثالثاً: إن الإمام علي عليه السلام بحسب ما أعترف مادلونج، تعامل معهم بحلم بالغ ولم يقطع رواتبهم من بيت المال ولم يسمح لأحد بالتعرض لهم فكانوا يقاطعون الإمام علي في خطبه بكل حرية ويناظرونه ويناقشونه، وعندما انعزلوا، نصحهم كثيراً وأرسل إليهم الرسل مراراً وتكرارا(٤٣)، فأي عذر أبلغ للإمام علي من هذا،

وما عساه أن يفعل بهم من الحلم والصبر حتى يرضى به المؤلف مادلونج، وهل أبقوا عذراً لأحد بسوء صنيعهم وتوحشهم؟!

رابعاً: إن موقف الإمام علي عليه السلام لا علاقة له برغبته الاسراع في الحرب مع معاوية كما يحاول أن يصور لنا مادلونج، ليستنتج منه عدم التأني والتروي من قبل الإمام علي أمامهم وإن علياً عليه السلام استعجل في الحرب ولم يمهلهم كي يستهوي قلوبهم القاسية بحسب وصف مادلونج.

أما المستشرق يان ريشان فله رأيه حول مسألة الخوارج فيذكر أنّ معاوية بن أبي سفيان قد استفاد بالدرجة الأولى من الأحداث التي واجهت الإمام علي عليه السلام بظهور الخوارج، وثبت أركان حكمه في دمشق وأحتل مصر وبدأ الإمام علي بالاستعداد لمواجهة الانشقاق في جيشه، وذكر ريشان بعض من عقائد الخوارج أهمها أنهم رأوا إن (الحكم لله وحده) وليس للبشر حق الفصل في قضية في مثل هذه الخطورة، أي في الصراع بين الإمام علي عليه السلام والأمويين حول الخلافة، إذ إن الخوارج الذين خرجوا من مدينة الكوفة انما سموا بهذا الاسم من الطرف الآخر، أما هم فيسمون أنفسهم جماعة من يضحي بحياته لنصرة الله(٤٤).

من المعروف أنّ الخوارج قد اعترفوا بصحة خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب ورأوا في عمر الخليفة المثالي، الذي يجب على المسلمين أنتهاج سياسته(٤٥) كما اعترفوا بصحة خلافة عثمان بن عفان خلال السنوات الست الأولى من حكمه أما بعد ذلك فلم يعترفوا بإمامته، وأنكروا أعماله(٤٦) واعترفوا بخلافة الإمام علي عليه السلام حتى التحكيم ثم تبرأوا منه بعد ذلك واتهموه بالكفر وطالبوه بالتوبة(٤٧) ودعوه إلى عدم تأكيد أحقيته بالخالفة اعتماداً على قرابته للرسول في الإسلام(٤٨) إذ اعتقد الخوارج أنهم أهل الحق والعدل وإن غيرهم أهل الباطل والظلم، وأنهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر(٤٩)، أما التسمية التي ذكرها ريشان للخوارج فهي صحيحة، إذ أطلق على الخوارج تسمية المُحكمّة بعد أن رفضوا التحكيم في حرب صفين، وقاموا بتخليص موقفهم هذا في الشعار الذي غدا علماً لهم (لا حكم إلا لله)(٥٠) ومنذ ذلك أطلق عليهم وصف المحكّمة، لأنهم دعوا إلى تحكيم الله تعالى لا تحكيم الرجال(٥١) وسموا بالحرورية نسبة إلى قرية حروراء قرب الكوفة إذ انشقوا عن جيش الإمام علي عليه السلام(٥٢)، ويسمون أنفسهم الشراة، لأنهم يزعمون أنهم شروا أنفسهم

وابتاعوا آخرتهم بدنياهم[٥٣].

تابع المستشرق ريشان حديثه عن تفاصيل حرب النهروان فقد وصفها بالمذبحة إذ تمكن الإمام علي عليه السلام من القضاء على الخوارج باستثناء جماعة قليلة منهم تمكنوا من الهرب، اصبحوا فيما بعد نواة لنشر أفكار الخوارج، وعدوا الإمام علي عليه السلام من ألد أعدائهم، وانتقموا من أتباعه بشكل يمكن وصفه بالإرهابي[٥٤].

إن ما أدعاه ريشان عن الناجين من حرب النهروان صحيح فبعض الروايات الإسلامية تذكر أنّ من هرب من قبضة جيش الإمام علي عليه السلام كان يقل عن عشرة أشخاص[٥٥] وتذكر مصادر أخرى أنّ عدد من هرب من الخوارج بلغ ثمانية أشخاص، هرب رجلان إلى خراسان وأرض سجستان، وهرب رجلان إلى بلاد عمان، وهرب رجلان إلى اليمن وإن عدداً كبيراً من زعماء الخوارج قد قتل في حين تذكر بعض المصادر أنّ الخوارج قتلوا جميعاً ولم ينجح منهم أحد قتلوا في ربضة واحدة[٥٦].

تحدث المستشرق يوليوس فلهاوزن عن الخوارج بصورة غير منصفة لما هو وارد في الروايات الإسلامية، إذ مدح الخوارج ووصفهم من الفرق المجاهدة في سبيل الله، وهذا الوصف أما أن يكون جهلاً منه في المعلومة التاريخية الصحيحة وإما تجاهله لأحداث التاريخ واعتماده على الروايات المغرضة الرامية إلى تشويه معالم وحدة الصف في المجتمع الإسلامي، إذ وصف الخوارج بأنهم حزبٌ ثوريّ صحيح واستدلّ على ذلك من تسميتهم، وقلب الحقائق رأساً على عقب فبدلا من وصف ما قاموا به من ارهاب بموضوعية تاريخية فقد وصفهم بالتقوى وأنهم سعوا إلى الجهاد في سبيل الله[٥٧]، في حين ذكرت الروايات التاريخية أنّ الخوارج من الفرق الخارجة على تعاليم الدين الإسلامي لا تمت للإسلام بأي صلة[٥٨]، فاذا كانوا من أهل التقوى والجهاد كما يدعي فلهاوزن فكيف أجاز الخوارج قتل كل مسلم لا يسير أو يعمل في رأيهم؟!، إذ كانوا يتناقضون في آرائهم وأفعالهم تناقضاً يثير الدهشة والعجب ويرجع ذلك إلى بداوتهم وسذاجة تفكيرهم وقلة مرونتهم واعتدادهم بأنفسهم لحد الغرور، وتمسكهم بظواهر النصوص لذلك كان الخلاف بينهم كثيراً[٥٩].

تابع فلهاوزن حديثه المتقلب عن الخوارج فتارة يصفهم بالمذهب السياسي، غايته تقرير الأمور العامة وفقاً لأوامر الله ونواهيه، بيد إن سياستهم ليست موجهة نحو أهداف يمكن

تحقيقها، فضلاً عن ذلك أنها منافية للمدنية، إذ إن الخوارج لم يعتقدوا بانتصار مبادئهم على الأرض وإنما يرضون أن يكونوا مجاهدين، وتارة يصفهم فلهاوزن بأنهم أتباع المذهب الديني الإسلامي يسعون إلى تحقيق شعارهم (الحكم لله وحده)[٦٠].

ما ذكره فلهاوزن عن تعصب الخوارج ازاء تحقيق أهدافهم فهي السمة الصحيحة التي اتصفوا فيها إذ حاربوا خصومهم بسلاح التفرقة فضلاً عن آراء الخوارج المتناقضة، ومن أمثلة تناقضهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني وقالوا: (أحفظوا ذمة نبيكم)[٦١] فأين العدالة التي ذكرها فلهاوزن عن الخوارج؟!، ويرى فلهاوزن أيضاً أن الخوارج قد انفصلوا عن تربة الشيعة التي تأسسوا عليها، بعد أنّ غضبوا من الإمام علي عليه السلام، لأنه لم ينقض الميثاق الذي عقده مع أهل الشام ويرى أنّ في هذا الميثاق أنكاراً للإيمان، وعده فلهاوزن تزعزع إيمان الإمام علي عليه السلام بحقه المطلق في الإمامة كما يقره الإسلام الذي لا يقر حق عثمان ومعاوية، فقد رأى الخوارج أنه كان عليه أنّ يبادر بنقض هذا الميثاق على الفور حتى يصلح الأمر، ولم يكونوا في البدء متشددين كل التشدد في موقفهم مع الإمام علي عليه السلام[٦٢].

اعتمد فلهاوزن على المصادر التي تؤيد الفكر الخارجي إذ اتصف بتحيزه لهم في كتاباته التي ابتعدت كثيراً عن ما هو صحيح في روايتنا العربية، و إن الخوارج قاطعوا الشيعة وسبب خروجهم على الإمام علي، توقيعه التحكيم مع أهل الشام دون أن يذكر فلهاوزن إن الخوارج كانوا من أشد الناس تحمساً للتحكيم لوقف القتال في صفين والانصياع للقرآن واتخاذه حكماً في حرب صفين، كما اغفل فلهاوزن الحقيقة التي تذكر بأن الخوارج قد حرضوا الإمام علي عليه السلام لقبول التحكيم بل هددوه بالقتل إذا تراجع عن ذلك لكنهم حين رأوا بأن التحكيم قد ادى إلى خروج الخلافة من الإمام علي إلى معاوية بن أبي سفيان، فنقضوا بيعتهم للإمام علي عليه السلام وطمعوا إلى السلطة[٦٣] وليس كما يدعي فلهاوزن، إذ ان الخوارج بعد إن قاطعوا الإمام علي نصبوا لهم خليفة من اختيارهم، وكان من اختاروه هو (عبدالله بن وهب الراسبي)، ويرى بأن الخوارج أرادوا الجهاد ضد الكفار ووصف الإمام وشيعته بالكفار، وقد خرج الخوارج متخفين من الكوفة حتى تجمعوا في النهروان على الشاطئ الآخر من دجلة والتقوا بأنصارهم من أهل البصرة[٦٤].

وصف فلهاوزن الإمام علي عليه السلام بالكافر معتمداً على الرأي الذي عرضه الخوارج عندما أعلنوا بأن الإمام صار كافراً لقبوله التحكيم بعد أنّ أصروا عليه وهددوه بقبول التحكيم وعندما وجدوا التحكيم يتعارض مع مصالحهم كفّروا الإمام علي وأتباعه وانشقوا عن معسكره، وإن وصف فلهاوزن مكانة الإمام علي عليه السلام بهذه الطريقة يدل على اعتماده على الروايات المغرضة التي تحاول الانتقاص من المذهب الشيعي والمذاهب الأخرى(٦٥)، وذكر أيضاً بأن الخوارج عندما توجهوا إلى النهروان ألتقوا بأحد أتباع الإمام علي عليه السلام الذي يدعى عبدالله بن خباب كان رجلاً نابهاً فامتحنوه في موقفه من عثمان والإمام علي ولكن لم يعجبهم جوابه على أنهم كانوا في نواحٍ أخرى مرهفي الضمير، فيقال إن أحدهم لفظ من فمه ثمرة بعد أن تبين له أنها ليست له، وأخر دفع ثمن خنزير لصاحبه النصراني لأنه قتل الخنزير من غير حق، وهنا اعترف فلهاوزن عند سرده حادثة قتل عبدالله بن خباب، بمدى همجية الخوارج وتعصبهم(٦٦).

جاء المستشرق بودلي، ببعض الإشارات الطفيفة عن الخوارج، فذكر بأن الخوارج الذين انشقوا عن معسكر الإمام علي عليه السلام رأوا بأن الإمام وجيشه كفار، وإن الانشقاق الذي حدث بين المسلمين على أنه نقيض كل مثل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي جاء بها ويقود بالنهاية إلى انهيار الإسلام، ورأوا أن المسؤولين عن ذلك هم، الإمام علي عليه السلام، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، لذلك تعهدوا على أن يخلعوا البلاد منهم ولكن فشلت المحاولتان بحسب وصف المستشرق بودلي، فجرح معاوية بجرح بسيط، وقتل شخص كان يأم المصلين في مصر بدلاً من عمرو بن العاص، ولم يسقط إلا الإمام علي عليه السلام تحت السيوف التي قررت اغتيال الخلفاء الثلاثة(٦٧)، نجد ان بودلي قد اخفق في التمييز بين الخلفاء عندما وصف معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بالخلفاء، أسوة بالإمام علي عليه السلام الذي بايعه المسلمون والصحابة بالخلافة والإمامة على الناس .

يرى المستشرق جرهارد أنّ الإمام علي بعد التحكيم قد عزل من منصبه كخليفة للمسلمين... و أتباع الإمام فقد ظلوا محافظين على عهدهم ووفائهم له، أما بعد التحكيم فقد ثارت ثائرتهم لما آلت إليه مسألة التحكيم فرموه بالضعف لعجزه في الدفاع عن نفسه ضد المحكمة الباطلة، وإن الموت للإمام علي عليه السلام أفضل من هذا العار، إلا أنّ الإمام دافع

عن نفسه ضد الاتهامات الموجهة ضده[٦٨]، فهنا انحاز جرهارد في آرائه للخوارج، وإن ما ذكره غير دقيق فضلاً عن استخدامه لأسلوب التنكيل لشخصية الإمام علي عليه السلام وهذا ما يؤشر على جرهارد بالجانب السلبي لجهله بموقف الإمام علي عليه السلام لمواصلة القتال في صفين وموقفه الرافض للتحكيم، إذ إن الإمام فعل كل ما اقترحه كبار قادته عندما أجبروه على وقف القتال في خدعة رفع المصاحف .

إن مجمل الروايات والمصادر الإسلامية تذكر بأن أهل الشام رفعوا المصاحف بعد إن كاد جيش الإمام علي عليه السلام يحقق النصر فتوقف الخوارج عن القتال بعد تحذير الإمام علي لهم بأنها خدعة ويحذرهم من النتائج ويؤكد لهم أنه يقاتل معاوية وأصحابه لمخالفته كتاب الله، وأوصاهم باستمرار القتال وعدم الاغترار بما يصنعه الشاميون فأنهم كما قال الإمام عليه السلام: ((ما رفعوها إلا خديعة ومكيدة))، في حين إن عدداً من جيش الإمام كان رافضاً وقف القتال[٦٩]، أما فيما يتعلق بوقف القتال فخاطب الخوارج الإمام علي بقولهم: ((القوم يدعونا إلى كتاب الله، وأنت تدعونا إلى السيف)) فأجابهم الإمام علي عليه السلام: ((أنا أعلم بما في كتاب الله، انضروا إلى بقية الأحزاب أنضروا إلى من يقول كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون صدق الله ورسوله))، فقال الخوارج: ((لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين أو قتلناك كما فعلنا بعثمان))[٧٠] ذلك هو السبب الحقيقي الذي دفع الإمام علي عليه السلام لإيقاف القتال وليس ضعفاً منه كما يدعي جرهارد.

يرى المستشرق دوايت دونلدسن أنه بعد فشل التحكيم تراجع عدد من الجند عن ولائهم للإمام علي عليه السلام ونادوا بشعارهم (لا حكم إلا لله) وعسكروا بحروراء وبذلك سموا بالحرورية، أعتمد دونلدسن في قوله على روايات ابن سعد واليعقوبي والمسعودي في تصوير حالة الخوارج والسبب الذي دفعهم إلى التراجع عن الولاء للإمام علي، وأوضح أنّ سبب خروجهم هو تعارض مصالحهم وأهدافهم مع قرار التحكيم[٧١].

لقد بعث الإمام علي عليه السلام عبدالله بن عباس وغيره فخاطبهم وحاجبهم فرجع منهم قوم كثير، وثبت القسم الآخر على رأيهم فتوجهوا إلى النهروان وقتلوا عبدالله بن خباب أحد أصحاب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فسار إليهم الإمام علي - عليه السلام - وقضى على الكثير منهم، وأنّ علياً الذي كانوا يأملون أن يكون المطالب بحقهم والمدعي عنهم أصبح عدوهم الأول

بعد قضية التحكيم لذلك قرر الخوارج المجتمعين في مكة اغتيال الثلاثة، الإمام علي، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، فلم ينجحوا في تحقيق أهدافهم، إلا في قتل الإمام علي على يد الخارجي ابن ملجم(٧٢).

تطرق المستشرق واط إلى ابراز السبب الحقيقي الذي دفع جيش الإمام علي إلى الانشقاق والتفرق وظهور الخوارج، وأشار إلى إن الخوارج كانوا معارضين للإمام كمعارضتهم للخليفة عثمان والأمويين وهذا يدل على أنّ استياء الخوارج كان على البناء الاجتماعي وليس ضد شخص معين أو فئة حاكمة، وصحيح أنّ علياً كان له أصحاب مواقفهم مضادة لمواقف الخوارج، إلا أنّ عداءهم لعلي دليل على استيائهم من النظام ككل ويرى أيضاً أنّ الثورات أو التمردات لمجموعة قليلة أو عصبة قليلة من الرجال المتمثلين بالخوارج أعادوا شيئاً جديداً من العادات القديمة المتمثلة بالعشائر أو القبلية التي كانت سائدة في حياتهم بوصفهم بدو ولعل هذا غير مسارهم بلا إدراك(٧٣).

إن ما ادعاه المستشرق واط كان صحيح وكما هو معروف في الروايات الإسلامية، أنّ الخوارج كانوا من قبائل أقل أهمية من حيث المكانة السياسية، اندمجوا في الإسلام بعد الفتوح وأقاموا في البصرة والكوفة وكانت تغلب على أكثرهم البداوة وانضمت إلى حركاتهم عناصر بدوية وعناصر من القبائل العربية لأسباب مصلحية بحتة ليس للعقيدة فيها أثر لذلك تمثل خروجهم بروح العصبية القبلية والتناحر المتوارث بين القبائل العربية فنرى تقاتلهم من أجل البدع المذكورة(٧٤)، كما إن نزعة الخوارج الأصلية من أجل السلطة والحكم، كانت السمة الرئيسة التي تميز بها هؤلاء فحاول الإمام علي عليه السلام إيجاد الحل لهذه المشكلة إلا انها وصلت إلى درجة لا يمكن معها اقرار أي نظام لأن الطبقة الأرستقراطية التي سيطرت على مجريات الحكم واستئثارها بالسلطة والأموال في عهد الخليفة عثمان بن عفان وشعور آخرين بالحرمان قد ولد في نفوسهم كرهاً وانحسب ذلك على الإمام علي عليه السلام على الرغم من معرفتهم بتقواه وزهده(٧٥).

تحدث المستشرق ترتون ببعض الإشارات عن قضية الخوارج، ووصف موضوع الخوارج بأنه من المواضيع المهمة التي لابد من التعمق فيها لأن الخوارج ما يزالون موجودين في بلاد أفريقيا وعمان وإن موقفهم من المسلمين تمثل بالتعصب والشدة وارتكاب

الجرائم بوحشية، ولهم يد في مقتل عثمان بن عفان، وأدانوا بعض الرجال العظماء من المسلمين الأوائل، وأدانوا الإمام علي عليه السلام لأنه لم يتورع عن قتال المتمردين قبل موته وقتل ما يقارب أربعة آلاف ورع أو متق من الخوارج، وفي الوقت نفسه لعنوا طلحة والزبير لأنهم نقضوا العهود للإمام علي ومن ثم قاتلوه، ولعنوا معاوية بن أبي سفيان لأنه وقف ضد الإمام علي - عليه السلام- وقاتله وخطط مع عمرو بن العاص لخدعة رفع المصاحف، ولعنوا أبا موسى الأشعري لأنه تخلى عن سيده الإمام علي - عليه السلام- وخلعه من الخلافة عند التحكيم(٧٦).

أما فيما يتعلق بنتائج حرب صفين وما أفرزته من ظهور فرقة الخوارج فيرى المستشرق الأمريكي ديفد توماس، أنّ خدعة التحكيم أسفرت عن غضب مجموعة من أنصار الإمام علي سمّوا بالخوارج، الذين انشقوا عن معسكره، وتجمعوا في معسكر قرب بغداد حتى وصل عددهم إلى خمسة وعشرين ألفاً، وكان من الضروري على الإمام علي أن يخضعهم إلى سلطانه، فتقدم بجيش كبير ولكن قبل أن يبدأ بالهجوم عليهم اختار طريق السلم بالمحاججة وثبت في الأرض رايته، يخيرهم بين التجمع تحت هذه الراية أو الرجوع بأمان إلى مدينة الكوفة(٧٧).

نتائج البحث:

من خلال عرض آراء المستشرقين المتعددة بشأن الخوارج والنهروان، نجد انبهار بعض المستشرقين بالخوارج، ونعتوهم بألقاب وأوصاف لا تنطبق مع حقيقتهم، ورأوا بأن الخوارج يمثلون الديمقراطية الإسلامية، ولا نعلم سبب انبهار بعظهم بالخوارج هل لأنهم يمثلون فئة معارضة أم لأنهم عارضوا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام؟ !، ولا نعلم من أين جاءوا بمصطلح الديمقراطية الإسلامية، إذ إن مجرد أطلاق هذا المصطلح هو تَجنٍّ على الإسلام لأنه لا يقر مبدأ السيادة للأمة بل يعلنها صراحة إن السيادة للشرع، وإن الحكم إلا لله امران لا تعبدوا إلا أياه، وأنه لجهل بالديمقراطية وعلى أية حال إن ذكر هذه الحقيقة تؤكد لنا أنّ بعض المستشرقين قد أدرك حقيقة الخوارج لكنهم لم يعترفوا بذلك، وفي الوقت نفسه يكشف لنا الخطاب الاستشراقي لحرب النهروان عن التباين الواضح لمنهج التأويل المتبع من مستشرق لآخر حيث ارتكزت أبحاثهم بشكل عام على آلية تحليل الظواهر

العقائدية والسياسية من خلال الاستعانة بأدوات النقد التاريخي والنصي بعيدا في اغلب الأحيان عن الاطار العقدي أو الروائي التقليدي، إذ تمثلت الحرب في رؤاهم تجلياً مبكراً لصراع المشروع السياسي الإسلامي مع تحدياته الشرعية لا سيما فيما يتعلق بقضية الخلافة وتحديداً معايير الحكم على وجه الخصوص ومواقف المعارضة المسلحة، لذلك فقد تم تأويل احداث الخوارج تحت اطار تشكل الخطابات الفرقيه أو كديناميكية اجتماعية داخل المجتمع في المدينة وما بعدها أو كقراءة نقدية للسلطة الشرعية، لكن كل تلك المقاربات التي تم عرضها حول رؤى المستشرقين لم تخل من الشبهات والمطاعن ابرزها المبالغة في تحريف الرواية الإسلامية أو تأويلها على اعتبار الخوارج هم صناعة لاحقة، كذلك اسقاط نظريات متعددة ومحدثة في علم الاجتماع أو السياسة على حرب النهروان وفرقة الخوارج التي كانت أساس تلك الحرب، بحجة ان الرواية الإسلامية تعتبر مصدراً تأويلياً غير موثوق فأعتمد غالبية المستشرقين على آرائهم الشخصية المغلوطة في الغالب دون الرجوع إلى مصادرنا الموثوقة.

هوامش البحث

(١) سانتيلانا، دافيد، القانون والمجتمع، ص٤١٦-٤٢٠.

(٢) Patton, Walter, Encyclopedia of Religion , P.453-454

(٣) نيميه، آلان، العلويون، ص٢٦.

(٤) ارنولد، توماس، الخلافة، ص٥-٦.

(٥) كونسيلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ص٤٧-٤٨.

(٦) سبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج٦، ص٣٧.

(٧) مستشرق أيطالي ولد بمدينة تورينو ١٨٧٣م، تعلم العربية في جامعة تورينو، وذهب كوفد إلى القاهرة، وعين أستاذاً للعربية في المعهد العلمي الشرقي بنابولي، للمزيد ينظر: مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص١٠٤٠؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٨٣.

(٨) نلينو، كارلو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية إلى عصر بني أمية، ص٢٤٠.

(٩) الطبطبائي، مصطفى، نقد نتاجات المستشرقين، ص١٧٤

(١٠) غارديه، لويس، أثر الإسلام في العقيلة العربية، ص ٢١٨.

(١١) الثواقب، جها نبخش، المواجهة بين الغرب والإسلام، ص٣٩٣
(١٢) لابيدس، ايرام، تاريخ المجتمعات الإسلامية، ج١، ص١٢٢.
(١٣) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٤٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٢٨.
(١٤) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٤٧٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٤٣١؛ جلوب ، الفتوحات الإسلامية، ص٤٧١.
(١٥) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٤٧٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٤٣١.
(١٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٧٠.
(١٧) البلخي، البدء والتاريخ، ج١، ص٢٢٠.
(١٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٩.
(١٩) سورديل، دومنيك، الإسلام في القرون الوسطى، ص ٤٨؛ سيدو، لويس، تاريخ العرب العام، ص٦٥؛ شريعتي، علي، الامام علي في محنه الثلاث، ص ١٥٤.
(٢٠) Wans Brough , john, The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History. P 155.
(٢١) لابيدس، ايرام، تاريخ المجتمعات الإسلامية، ج١، ص١٢٣؛ بلياييف، فكتور، العرب والإسلام والخلافة العربية، ص١٩٨؛ بودلي، رينالد فكتور، ص ٣٤٦.
(٢٢) لابيدس، ايرام، تاريخ المجتمعات الإسلامية، ج١، ص١٢٥.
(٢٣) Bartholomew Pachinski, The Rise of Islamic Sectarianism .p 91.
(٢٤) جيوم، الفريد، الإسلام، ص٢١؛ ديورانت؛ قصة الحضارة، ج٢، ص٧٩.
(٢٥) Joseph Schacht, An Introduction to Islamic Law , p5 - 12
(٢٦) Joseph Schacht, An Introduction to Islamic Law , p5 - 12
(٢٧) Joseph Schacht, An Introduction to Islamic Law , p 13
(٢٨) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٧٤؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٤٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٣٠.
(٢٩) الراوي، ملحمة الإمام علي، ص٤.
(٣٠) موجز دائرة المعارف، ج١٥، ص٤٧٥٦.
(٣١) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٤١.
(٣٢) يحفوي، الخلافة والخلفاء، ص١٤٤.
(٣٣) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٤٢.

(٣٤) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٤٣.
(٣٥) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص٤٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٨٦.
(٣٦) المنقري، وقصة صفين، ص٤٩٠؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٩٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨.
(٣٧) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٤٥.
(٣٨) الرافعي، حضارة العرب، ص ٢٣٤.
(٣٩) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٥٣.
(٤٠) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٥٥.
(٤١) مادلونج، خلافة محمد، ص٣٧٢-٣٧٣.
(٤٢) الميلاني، خلافة محمد للمستشرق مادلونج، ص١١٨.
(٤٣) جعيط، هشام، ص٢٠٩.
(٤٤) يان ريشان، الإسلام الشيعي، ص ٣٨.
(٤٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٥٣.
(٤٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص٧٦.
(٤٧) ينظر: ابن قتيبة، الإمام والسياسة، ج١، ص١٤٩؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص٦٦.
(٤٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٤٥.
(٤٩) ملحم، المؤرخون العرب والفتنة، ص٣٢٢.
(٥٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٨١.
(٥١) الشهرساني، الملل والنحل، ج١، ص١٠٦.
(٥٢) ينظر: البلخي، البدء والتاريخ، ج٢، ص٢٢٧، الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٥.
(٥٣) العمري، الخلافة الراشدة، ص٤٨١.
(٥٤) يان ريشان، الإسلام الشيعي، ص٣٧.
(٥٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩٣.
(٥٦) الربضة: مقتل قوم في بقعة واحدة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص١٥٣.
(٥٧) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ص ٢٩.
(٥٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩١.
(٥٩) عبدالحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص٧١.
(٦٠) فلهاوزن، أحزاب المعارضة، ص٣٠.
(٦١) الحوفي، أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، ص١٠٢.
(٦٢) السابعي، ناصر بن سليمان، الخوراج والحقيقة الغائبة، ص٢٣.
(٦٣) جرداق، جورج، الإمام علي، ص٦٣٤.

(٦٤) فلهاوزن، أحزاب المعارضة، ص٣٩.
(٦٥) جعيط، هشام، الفتنة، ص٢١٠.
(٦٦) فلهاوزن، أحزاب المعارضة، ص٤٠-٤١.
(٦٧) بودلي، حياة محمد، ص٣٤٩.
(٦٨) كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص٤٢.
(٦٩) ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص٦٠؛ ابن قتيبة، الأخبار الطوال، ص١٩٧.
(٧٠) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣١٦.
(٧١) دونلدسن، دوايت، عقيدة الشيعة، ص٥٥-٥٦.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٥٦.
(٧٣) Wat, Islamand The Integration of society, p.97
(٧٤) عرفان، دراسات في الفرق، ص٧١-٧٢.
(٧٥) جياد، الإمام علي، ص٤٢٣.
(٧٦) Tritton, Islam belief and practices, p.69 .
(٧٧) Thomas, David , The History of Christian-Muslim Relations , p101.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر الأولية

١- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبدالله، دار الكتب العلمية، (بيروت -١٤٠٧ه/١٩٨٧م).

٢- البلاذري، أبو جعفر أحمد بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، جمل من أنساب الأشرف، تحقيق سهيل ذكار ورياض زركلي، دار الفكر، ط١، (بيروت-١٤١٦ه /١٩٩٦م).

٣- البلخي، أبي زيد أحمد بن سهل (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م) البدء والتاريخ، تحقيق خليل عمران، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٧ه/١٩٩٧م).

٤- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلاه النبلاء، تحقيق مأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط٣، (بيروت - ١٤٠٥ه /١٩٨٥م).

٥- السيوطي، جلال الدين بن كمال (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط١، (بيروت-١٤٢٤ه/٢٠٠٣م).

٦- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٩٤١م)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، دار الخانجي، ط١، (القاهرة - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٧- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ، دار المعارف، ط٢، (القاهرة ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).

٨- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الامامة والسياسة، تحقيق محمد الرافعي، مطبعة النيل، (القاهرة - ١٣٢١هـ/١٩٠٤).

٩- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت. ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي الشيري، ط١، (بيروت، ١٩٨٨).

١٠- المنقري، نصر ابن مزاحم (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)، وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة المدني، ط٣، (القاهرة - ١٩٦٢م).

١١- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العالمي، ط٢، (بيروت-١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

١٢- الشهرستاني، أبي الفتح محمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٤م)، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العالمية، ط٢، (بيروت- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١ه/١٣٢١م)، لسان العرب، دار الصادر، (بيروت- ١٤١٧ه /١٩٩٧م).

١٤- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، دار الصادر، ط١، (بيروت- ١٣٧٩ه /١٩٦٠م).

١٥- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الصادر، (بيروت- ١٣٩٧ه /١٩٧٧م)

ثانياً: المراجع الثانوية.

١- أمحزون، محمد، تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة في مرويات الطبري والمحدثين، دار طيبة للنشر، ط١، (الرياض - ١٤١٤ه /١٩٩٤م).

٢- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٤١٣ه /١٩٩٣م).

٣- جياد، حاتم كريم، الإمام علي - عليه السلام- في كتابات المستشرقين الغربيين، العتبة العلوية المقدسة، ط١، (النجف الاشرف - ١٤٣٢ه /٢٠١١م).

٤- جعيط، هشام، الفتنة، ترجمة خليل احمد خليل، دار الطليعة، ط٤، (بيروت -١٤٢١ه -/٢٠٠٠م).

٥- جرداق، جورج، الامام علي صوت العدالة الانسانية، تحقيق حسن حميد السنيد، دار الاندلس، ط١، (بيروت ١٤٣١ه /٢٠١٠م).

٦- الحوفي، أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، دار النهضة، (القاهرة - د.ت).

٧- الرافعي، مصطفى، حضارة العرب، دار الكتاب، ط٣، (بيروت - ١٤٠١ه /١٩٨١م).

٨- السابعي، ناصر بن سليمان، الخوارج والحقيقة الغائبة، ط٢، (الرياض-١٤٢٠ه /١٩٩٩م).

٩- السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الإمام الصادق، (قم-د.ت).

١٠- شريعتي، علي، الإمام علي في محنة الثلاث، ترجمة علي الحسنين، دار الأمير، ط٢، (بيروت - د.ت).

١١- الطبطبائي، الحسيني مصطفى، نقد نتاجات المستشرقين، ط١، (طهران-١٩٩٦).

١٢- العمري، اكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، (الرياض -١٩٩٣).

١٣- عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد، طبعة الارشاد، (بغداد - ١٩٩٩).

١٤- الميلاني، هاشم، خلافة محمد للمستشرق ولفرد مادلونج، (الرياض - د.ت).

١٥- ملحم، عدنان محمد، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة، ط٢، (بيروت- ٢٠٠١م).

١٦- مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتاب لعلمية، (بيروت- ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م).

١٧- يحفوي، علي سليمان، الخلافة والخلفاء، الدار العالمية، ط١، (بيروت -١٩٨١م).

ثالثاً- المراجع الاستشراقية المترجمة وغير المترجمة

١- أرنولد، سير توماس، الخلافة، ترجمة جميل معلى، دار اليقظة، (دمشق - ١٩٤٧م).

٢- بودلي، حياة محمد، ترجمة صبري عبد المنعم، (القاهرة - ١٩٩٠).

٣- بلياييف، فكتور، العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة، دار المتحدة للنشر، ط٢، (بيروت - ٢٠٠٩).

٤- الثواقب، جها نبخش، المواجهة بين الغرب والإسلام، ترجمة عبدالرحيم الحمراني، دار الغدير، (بيروت- ٢٠٠٣م).

٥- جلوب، جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حماد، الدار القومية، ط١، (القاهرة - ١٩٦٣م) .

٦- جيوم، الفريد، الإسلام، ترجمة محمد مصطفى، (القاهرة-١٩٥٨).

٧- دونلدسن، دوايت، عقيدة الشيعة، ترجمة منير البعلبكي، دار الخانجي، (القاهرة - ١٩٣٣م).

٨- ريشان، يان، الإسلام الشيعي، ترجمة حافظ الجمالي، ترجمة حافظ الجمالي، دار عطية للطباعة، ط١، (بيروت - ١٩٩٦).

٩- سانتيلا، دايفد، القانون والمجتمع، ترجمة جرجيس احمد، دار التراث، (بيروت-١٩٧٢م).

١٠- سورديل، دومنيك، الإسلام في القرون الوسطى، ترجمة علي مقلد، دار التنوير، ط١، (بيروت - ١٩٨٣م).

١١- سيدو، لويس، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، (القاهرة- ١٩٤٧م).

١٢- غارديه، لويس، أثر الإسلام في العقيلة العربية، ترجمة خليل أحمد، دار الفكر، (بيروت- ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

١٣- فلهاوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة، (القاهرة-١٩٥٨).

١٤- كونسيلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، (القاهرة- ٢٠٠٤م).

١٥- لابيدس، أيرام، تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة فاضل جكتر، دار الكتاب العربي، ط٢، (بيروت- د. ت).

١٦- مادلونج، ولفرد، خلافة محمد، دار الإستانة الرضوية، (إيران- ١٩٩١م).

١٧- نيميه، آلان، العلويون، ترجمة أحمد علي، مؤسسة البلاغ، ط١، (بيروت-١٩٩٨م).

١٨- نلينو، كارلو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية إلى عصر بني أمية، ترجمة طه حسين، دار المعارف، ط٢، (القاهرة-١٩٦٧م).

1- Bartholomew Pachinski, The Rise of Islamic Sectarianism, Routledge, 1990, London.

2- John Wansbrough, The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History, Oxford University Press, 1977, Oxford.

3- Joseph Schacht, An Introduction to Islamic Law, Oxford University Press, 1964, Oxford.

4- Patton, Walter, Encyclopedia of Religion an, Edited by James Hasting, 2I, bid, Edinburgh.

5- Thomas, David ,The History of Christian-Muslim Relations , (University of Groningen, 2007).

6- Wat , Islamand The Integration of society (Oxford: Oxford University Press, 1961)